الفنون الشعبية

العـــدد 113 * أكتوبر- نوفمبر- ديسمبر 2023

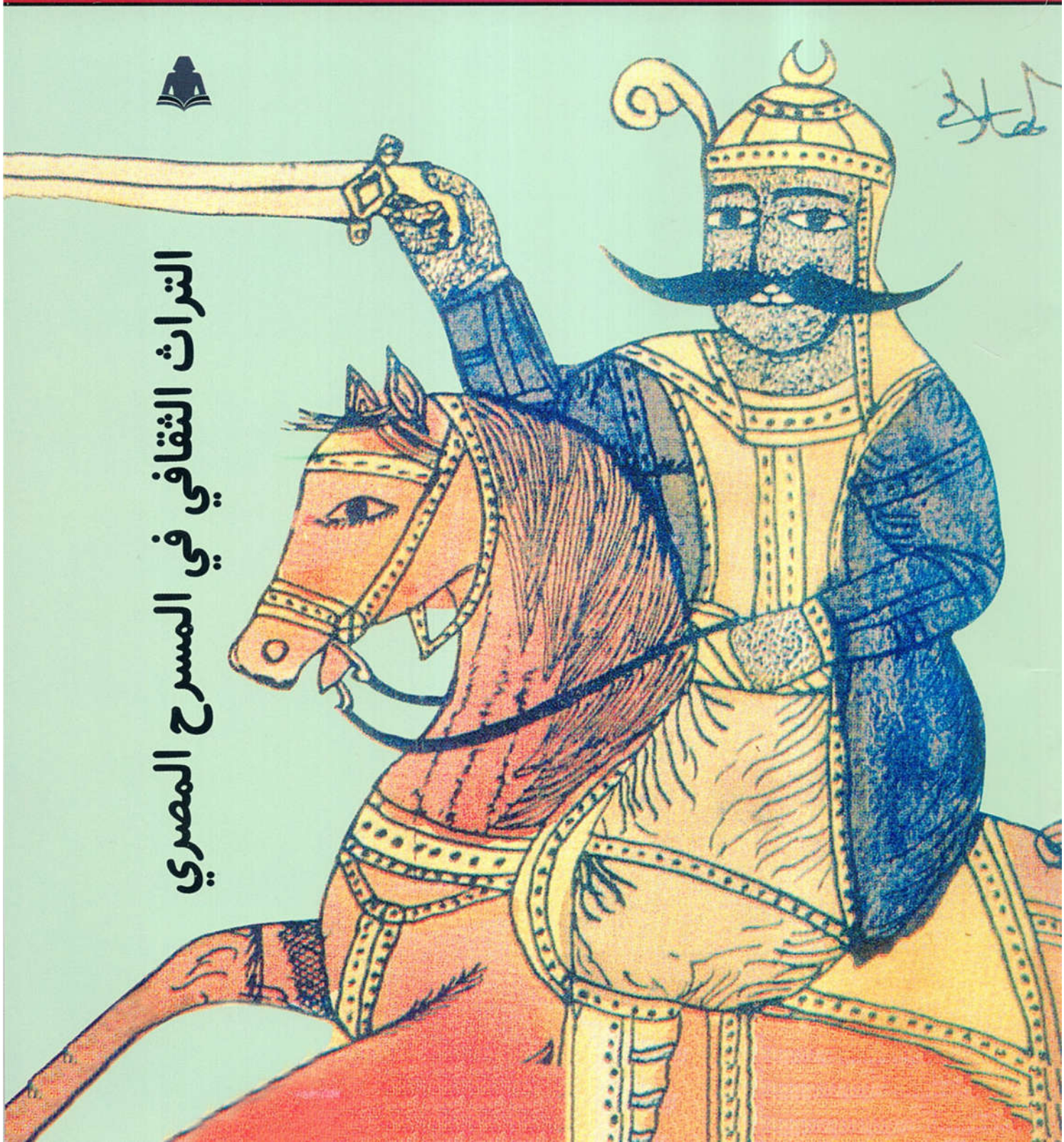

التراث الثقافي في المسرح المصري

سليمان القرداحى

مسرح الفنون الشعبية المصرية في بـاريـس ١٨٨٩

سيد علي إسماعيـل*

تمهيـد

في عام ١٨٧٧ استقرّ اللبناني «سليمان القرداحي» وزوجته «كريستين» في الإسكندرية بمصر، وافتتحا معًا «المدرسة الوطنية» بالعطارين [١]، التي اتخذت عادة تمثيل إحدى المسرحيات- بواسطة طلابها- في نهاية العام الدراسي [٢]، وكان يحضر هذه العروض الخديوي توفيق بنفسه، كما أخبرتنا بذلك جريدة «الأهرام» يوم ٥ أغسطس ١٨٨٠، قائلة: «في مساء هذا النهار تشخص طالبات المدرسة الوطنية القرداحية بتياترو ريرينيا رواية «تليماك» العربية بحضور سمو الخديوي المعظم وحضرات الآباء».

بعد عامين، أغلق سليمان القرداحي المدرسة في الإسكندرية، واتجه إلى المسرح، فكوّن فرقة مسرحية تحمل اسمه [٣] وانتقل بها إلى القاهرة، فلاقى دعمًا كبيرًا من كل الجهات، كي يعرض مسرحياته في الأوبرا الخديوية- المخصصة فقط للفرق الأجنبية- فأصبحت فرقته أول فرقة مسرحية عربية تعرض مسرحياتها باللغة العربية في دار الأوبرا الخديوية! وكانت جريدة «الأهرام» تتابع نشاط القرداحي وفرقته؛ حيث نشرت أخباره قائلة: «أذكر لكم حضور جناب الشاب النبيه سليمان أفندي قرداحي إلى عاصمتنا لإعداد ما يقتضي تقديمه بعض تشخيصات في تياترو الأوبرا، وبلعني أن نظارة الأشغال وعدته بذلك، ولا شك بأن الحكومة ستنظر بعين الالتفات وبعنايتها المعتادة إلى مساعدة هذا الفن العربي الجريل الفائدة» [٤]

وبناء على ذلك أعلن القرداحي عن برنامج عروض فرقته في الأوبرا الخديوية، ونشر ذلك في جريدة «الأهرام» يوم ١٨٨٢/٣/٢٨، تحت عنوان «أوبرا عربية»؛ قائلًا: «بعد الاحترام المعروض لمقامكم أنني بعد الاتكال عليه تعالى وطلب أولي الفضل قد تقدمت إلى العمل بفن الروايات الذي له من المرية الفكاهية والفائدة الأدبية ما لا يخفى عليكم، فنظمت جوقًا عربيًّا راعيت في انتقاء أشخاصه ما تجب مراعاته من حيثية التشخيص، ورخامة الصوت، وحسن الإلقاء، كما أني قد اخترتُ لهذا الفن أجلّ الروايات وألطفها، وبذلتُ الدرهم، وأحييت الليل والنهار في سبيل إتقانه. ولما كان مشروعي هذا لا يقوم إلا بعضد أولي الحمية والعيرة اخترتُ أن أقدم أربع روايات مختلفة المواضيع على ست ليال. «الروايات المعينة للتشخيص. فرسان العرب، وتليماك، وزفاف عنتر، والفرج بعد الضيق».

نجحت الفرقة نجاحًا كبيرًا في جميع عروضها المسرحية العربية، التي عرضتها في الأوبرا الخديوية، بفضل دعم الخديوي لها! وظل هذا النجاح شبه متواصل من عام ١٨٨٢ إلى أواخر عام ١٨٨٨ [٥] وابتداء من فبراير ١٨٨٩، بدأنا نقرأ أن سليمان القرداحي في القاهرة وينوي التمثيل في الأوبرا كعادته كل عام، وهو الأمر الذي لم يحدث! وقرأنا أيضًا بأنه سيحيي ليلة مسرحية للجمعية الخيرية للروم الكاثوليك، ولم نجد تأكيدًا على حدوث ذلك [٦]

(١) ينظر. جريدة (الأهرام) ١٨٧٧/٦/٢ ١٨٧٨/٢/١٥

(٢) ينظر. جريدة (الأهرام) ١٨٧٨/٨/١٦

(٣) جريدة (الأهرام) فن الروايات، ١٨٨٢/٣/١.

(٤) جريدة (الأهرام) ١٨٨٢/٣/٢٤

(٥) تحدثت من قبل عن تفاصيل هذه الفترة في مصر، ونشاط القرداحي المسرحي فيها، وللمزيد، ينظر. سيد علي إسماعيل، ريادات مسرح زيرينيا بالإسكندرية، مجلة (المسرح) المصرية، الإصدار السادس، عدد أبريل ومايو ويونيه ٢٠٢٢ ص(٤٩-٥٧).

(٦) ينظر. جريدة (الرياض المصرية)، ١٨٨٩/٢/١ ص(٣٥٢).

* ناقد أكاديمي، كلية الآداب، جامعة حلوان

إشـارات غـامضـة

أول من أشار إلى رحلة القرداحي إلى باريس كان الممثل «عمر وصفي»، عندما بدأ ينشر مذكراته في حلقات بمجلة «الصباح» عام ١٩٣١، تحت عنوان «تاريخ التمثيل والممثلين في مصر بين عجائب الأمس وغرائب اليوم». وفي الحلقة الثانية والعشرين– المنشورة في أغسطس ١٩٣١– تحدث عمر وصفي عن وجود ممثلي فرقة القباني في مصر بلا عمل، بعد سفر القباني إلى سوريا، وأخذوا يبحثون عن عمل في أي مسرح، وهنا ظهر لهم سليمان القرداحي، وأقنعهم بضرورة الانضمام إليه؛ حيث إنه تعاقد على السفر بفرقة مسرحية وفنية إلى باريس للاشتراك في معرضها الصناعي الدولي! وحدث عمر وصفي عن تفاصيل ذلك قائلًا.

«. وكان الاتفاق أن يسافر القرداحي إلى باريس ومعه فرقة كبيرة تضم كل ما تحويه مصر من فنون؛ ولكن فنون أكثرها رخيصة، أو من فنون الشوارع من أمثال. الحواة، ومدربي القرود– قرداتية– إلى مثل هذه المهن، ثم الراقصات البلدي، ولاعبي العصى– التحطيب– وفوق ذلك كله فرقة تمثيلية، وكذلك بعض ما تحويه سورية من ألعاب السيوف ورقص شامي. إلخ هذه الألعاب. وعرض القرداحي الفكرة على الممثلين، فقبل منهم من قبل، ورفض من رفض، وكنتُ منهم، وأنا أعرف الناس بمعاملة القرداحي ووعود القرداحي! فاتفق مع السيدات ألمظ أستاتي، وأبرير، وماري صوفان، واتفق مع مطربنا الشيح حسن صالح، ثم سار يجوب الشوارع والدروب يتفق مع الآلاتية، والموسيقى البلدي، ولاعبي السيوف، والترس، والقرداتية. واستأجر دارًا خلف سراي عابدين لتدريب الفرقة، وتعليم الممثلين والممثلات ألعاب السيف والترس والرقص الشامي والدبكة، وسائر ما يريد عرضه في باريس»

ومن خلال متابعة المذكرات، قال عمر وصفي إن القرداحي سافر بالفعل إلى باريس بفرقته، دون أن يخبرنا بأي تفاصيل أخرى! وبعد سبع سنوات نشرت الممثلة «دولت أبيض» مقالة في جريدة «المقطم» يوم ١٦ مارس ١٩٣٨، عنوانها «تمثيل مصر في معرض باريس» علمنا منها أن مصر تلقت دعوة من معرض باريس، كي تُرشح عروضًا مسرحية مصرية يتم عرضها في المعرض! ولكن دولت أبيض اعترضت على ترشيح مسرحيات بعينها، خشية تكرار ما حدث من قبل مع القرداحي، قائلة: «. إننا لا نريد أن نعيد مأساة القرداحي، وما تركه من أثر سيئ، وما أظهره من جهل نُسب إلى الشرق كله في معرض مرّ عليه عشرات من السنين، أرجو بعد ذلك ألا تمثل مصر هناك إلا بما يرفع من شأنها، ويحفظ كرامتنا بين الأجانب».

وبناء على ذلك، نستطيع أن نقول. إن غياب سليمان القرداحي ومسرحه عن مصر ابتداءً من عام ١٨٨٩، سببه سفره إلى باريس بفرقة مسرحية شعبية، كما قال «عمر وصفي»، وأن العروض الفنية التي تمّ عرضها في باريس أساءت إلى مصر وإلى كرامة الممثلين، كما قالت «دولت أبيض»، ورغم وضوح هذه الحقيقة، إلا أننا لم نعلم حتى الآن ماذا حدث في باريس؟ وما العروض التي عرضتها الفرقة هناك؟

حفيـد القـرداحـي

احتفظتُ بهذه الأسئلة فترة من الرمن إلى أن تواصل معي الأستاذ «إسكندر قرداحي Alexandre Cordahi»[٧]؛ حيث أرسل لي إيميلًا يوم ١٩ فبراير ٢٠١٦، وعرفتُ منه أنه مُقيم مع أسرته في فرنسا، وأنه من عائلة المسرحي سليمان القرداحي، وأن جده المولود في القاهرة «ألفريد بولس قرداحي ١٨٨٨ ١٩٨٨» عاش مائة عام. وقبل وفاته بثلاث سنوات، أرسل إلى حفيده- الأستاذ إسكندر قرداحي- مجموعة خطابات عن جذور وأصول وتاريخ عائلة القرداحي. ومع تبادل الرسائل بيننا، استطعتُ الحصول على صورة من هذه الخطابات، وفيها وجدتُ الإجابة عن سؤالي، عندما قال الجد في أحد الخطابات عن مدرسة سليمان القرداحي وفرقته المسرحية: « وقد كانت المدرسة ناجحة والجوق ناجح إلى أن حصل ما لم يكن في الحسبان، وذلك أن عمي اشترك مع أحد أعيان الإنكليز بصفته الشخصية وبدون والدي

(٧) أستاذ في معهد الدراسات السياسية في باريس، ومحام بنقابة المحامين الفرنسيين؛ وخبير في تمويل المشاريع، وإعادة هيكلة الديون. حاصل على عدة شهادات في القانون الدولي الخاص والعام من السربون. أسهم في تطوير قوانين ثلاثين دولة على مستوى العالم، والمستشار القانوني الأول للمعهد الدولي لقانون التنمية ... إلخ.

في معرض مهم أُقيم في باريس، وأعلنوا أن القرداحي سيُمثل في جوق، وأعلن عمي وشريكه الإنكليزي أن محظيات من سراي الخديوي سيرقصن رقصات البطن وخلافه من الرقصات الشرقية في ذلك المعرض، فغضب الخديوي، لهذا أمر بنفي عمي سليمان»

ما جاء في هذا الخطاب أضاء الموضوع بعض الشيء؛ لأنه ذكر سببًا مقنعًا لعياب القرداحي، وهو أن الخديوي توفيق أمر بنفيه؛ لأنه أساء إلى محظيات الخديوي، وأخذ بعضهن إلى باريس ليرقصن أمام الناس في المعرض العالمي. ورغم ذلك لم أجد شيئًا منشورًا عن هذا الأمر في مصر، بحيث يكون معاصرًا لهذه الرحلة ومؤرخًا لها في عام ١٨٨٩، وهو عام اختفاء القرداحي وفرقته من مصر؟! وعندما تناقشتُ مع الصديق «إسكندر قرداحي» في باريس حول توثيق هذه الرحلة، أرسل لي مجموعة صور فوتوغرافية، مع بعض قصاصات الصحف الفرنسية التي أشارت إلى الرحلة في حينها! وهذه الصور والقصاصات كانت بداية البحث؛ حيث عكفتُ على الموضوع باحثًا عنه في الصحف والمجلات والكتب الفرنسية المنشورة حول معرض باريس ١٨٨٩، فكانت النتائج عظيمة، وتفاصيلها فيما يلي.

LE FIGARO

Samedi 24 Août 1889

COURRIER DE L'EXPOSITION

S. A. R. le khédive d'Egypte a, pour la première fois, gracieusement accordé la permission, à une troupe de trente danseuses et chanteuses de l'Opéra royal du Caire, de s'absenter de l'Egypte. Celles-ci ont été soigneusement choisies par M. S. Cardahi, directeur de l'Opéra, qui accompagnera la troupe en France.

Cette troupe a quitté Alexandrie samedi dernier, et M. Seymour Wade, directeur du théâtre international de l'Exposition, attend, d'heure en heure, une dépêche annonçant leur arrivée à Marseille. Ces artistes apportent avec eux leurs costumes et les décors du grand Opéra royal.

الإعلان الذي وصل إلى الخديو

Le Gaulois

Les débuts publics de la troupe égyptienne de M. Cardahi, directeur de la troupe arabe de l'Opéra khédivial du Caire, et qu'a engagée M. Seymour Wade, auront lieu vendredi 30 août, au théâtre International, avenue de Suffren, près du Globe terrestre et l'exposition du Mexique, au Champ de Mars.

Quatre représentations seront données chaque jour: deux dans l'après-midi, à trois heures et à quatre heures et demie; deux dans la soirée, à huit heures et à neuf heures et demie.

إعلانات ومقالات
١٨٨٩-٠٨-٢٨

الصحف الفرنسية

من خلال متابعتي لأخبار سليمان القرداحي وفرقته في الصحف الفرنسية، وجدتُ جريدة الفيجارو- (LE FIGARO) بتاريخ ١٨٨٩/٨/٢٤- نشرت خبرًا تحت عنوان (COURRIER DE L'EXPOSITION) «أخبار معرض إكسبو العالمي»، أوضحت فيه أن خديوي مصر- وللمرة الأولى- منح الإذن للفرقة الوطنية بدار الأوبرا الخديوية بالسفر خارج مصر لتقديم عروضها في فرنسا بقيادة سليمان القرداحي، الذي انتقى ثلاثين فنانًا وفنانة بعناية شديدة. وهذه الفرقة سافرت من الإسكندرية يوم السبت، ومعها ملابس التمثيل ومناظر عروضها في الأوبرا الخديوية. وينتظر قدومها في ميناء مارسيليا السيد «سيمور واد Seymour Wade» مدير مسرح المعرض الدولي.

وفي اليوم التالي ١٨٨٩/٨/٢٥، نشرت جريدة الوقت الفرنسية (LE TEMPS)، خبر وصول الفرقة إلى باريس، وحدَّدت أن الفرقة ستعرض على مسرح المعرض الدولي ثمانية وعشرين موضوعًا! وبعد ثلاثة أيام- أي في ١٨٨٩/٨/٢٨- نشرت جريدة (Le Gaulois) أن الفرقة ستبدأ عروضها يوم ٣٠ أغسطس على مسرح المعرض العالمي في شارع (Suffren) قرب مبنى الكرة الأرضية ومعرض المكسيك. كما حددت الجريدة أن العروض نهارية وليلية، وتستعرق ثماني ساعات كل يوم.

ومن خلال هذا الخبر- وغيره من الأخبار- نعلم أن فرقة سليمان القرداحي، ستعرض عروضها الفنية على خشبة مسرح أقيم خصيصًا للعروض المسرحية والفنية العالمية، التي ستعرض أمام جميع زوار العالم في معرض إكسبو في باريس عام ١٨٨٩ ولو علمنا أن فرقة القرداحي عرضت عروضها داخل هذا المعرض، الذي أقيم أسفل برج إيفل الشهير- ذلك البرج الذي تمّ افتتاحه في هذا المعرض وفي هذا العام تحديدًا- سنعي جيدًا أهمية ظهور أول عروض مسرحية شعبية فنية مصرية، تُعرض أمام العالم من خلال هذا المعرض.

هذه الأهمية، فطن إليها مدير المسرح «سيمور واد Seymour Wade»، الذي تعامل مع الأمر بصورة تجارية بحتة- وربما بالاتفاق مع سليمان القرداحي وبموافقته- حيث صمّم أول إعلانٍ- أو

أفيش مُلصق بوستر- ملون لفرقة مسرحية عربية؛ حيث وضع بطول الإعلان رسمًا كبيرًا لامرأة شرقية ترقص بالسيف العربي، وترتدي ملابس شرقية فاتنة، وشعرها يتطاير، وكأنها إحدى بطلات ألف ليلة وليلة. وفي أسفل الإعلان صورة صغيرة لرجلين يتبارزان بالسيف والدرع، وفي أعلى الإعلان صورة صغيرة لأبي الهول والأهرامات. أما العبارات المكتوبة، فهي اسم الفرقة المصرية المتكونة من. الراقصين والمغنين والمصارعين والمبارزين بقيادة سليمان القرداحي. أما أهم عبارة مكتوبة وبخط كبير في الإعلان أن الفرقة: هي فرقة الأوبرا الخديوية [٨]!

ويُلاحظ على هذا الإعلان؛ أنه موجه إلى جمهور فرنسا وشعوب العالم- من زوار المعرض- لمشاهدة الفنون الشعبية المصرية الشرقية العربية، التي ستعرض على خشبة المسرح لأول مرة في أوروبا، ومنها الرقص الشرقي، والعناء العربي، والمصارعة، والمبارزة بالسيف والرمح. إلخ. وهذا بالفعل ما حدث، عندما بدأت الفرقة عروضها؛ حيث نشرت جريدة (LA GUSTICE)- في ١٨٨٩/٨/٣١- خبرًا عن نجاح عروض الفرقة المصرية، وأشادت بفن الشيح علي عثمان، واللاعب صابر، وكذلك رقص الراقصات وملابسهن الملونة.

أما جريدة (LE MENESTREL)، فقد نشرت- في ١٨٨٩/٩/١- وصفًا مسهبًا، أبانت فيه أن فرقة الأوبرا الخديوية تشتمل على أربعة عازفين من النوبة في صعيد مصر، وثلاث فتيات مطربات، وأربع عازفات سودانيات، وثلاثة موسيقيين من القاهرة. كما تشتمل الفرقة على ست راقصات جميلات مصريات، مثل. شوق أفندي، وهانم أفندي. وثلاثة مصارعين، والمعنية الشهيرة زينب، والمغني الشهير الشيح علي عثمان. كما ذكرت الجريدة أن خديوي مصر منح الفرقة ٤٠٠ جنيه دعمًا لها، وأشارت الجريدة كذلك إلى أن (سيمور واد Seymour Wade) هو أول إنجليزي ينجح في إقامة هذا المسرح الكبير داخل المعرض خلال خمسة وثلاثين يومًا، وهو مسرح يتسع لـ٢٥٠٠ متفرج.

ولأن إقامة هذا المسرح- بهذا الشكل- كان حدثًا غير مسبوق، لا سيما أن مسارح العالم عرضت عليه فنونها، فكان

(٨) هذا هو نص الإعلان بالفرنسية: Théâtre International de l'Exposition, coté de l'Avenue de Suffren en face la care du Champs de Mars. Avec la permission de son Altesse Royale le Khédive d'Egypte, Grande Troupe de danseuses, chanteuses, lutteurs & escrimeurs dirigee par M. Soliman Cardahi Directeur du grand opéra khédival du Caire tous les Jours a 3 h tous les Jours a 8 h Seymour Wade Directeur Affiches Americaines CH Levy 10 rue Martel paris

PARAIT TOUS LES DIMANCHES

LE

MÉNESTREL

MUSIQUE ET THÉATRES

HENRI HEUGEL, Directeur

— Le théâtre international de l'Exposition, si habilement dirigé par M. Seymour Wade, vient d'engager la troupe khédiviale du Caire. Cette troupe se compose de quatre musiciens de la Haute-Égypte (Nubie); trois types de musiciens arabes; quatre types de musiciens soudanais; trois types de musiciens du Caire; six danseuses de genre parmi lesquelles se trouvent la belle Égyptienne Choke-Effendi et la première danseuse Hanème Effendi; trois lutteurs; quatre joueurs de sabre; la célèbre chanteuse Zénabe; le chanteur en renom El sheick Ali-Osman. Ajoutons que le directeur de cette troupe, M. Cardahi, a reçu du khédive une gratification de 400 livres sterling et qu'il a été chaudement félicité par lui. Chaque représentation se terminera par une grande fantasia exécutée par toute la troupe. M. Seymour Wade est croyons-nous, le seul étranger, et, en tout cas, le seul Anglais qui ait eu la hardiesse d'ouvrir à Paris un théâtre contenant 2,500 personnes, lequel théâtre a été construit en trente-cinq jours.

جريدة المشهد وعرض فرنسا

سيمور واد المتعهد الإنجليزي مع أصحاب الحمير

لا بد من صدور كتاب يُوثّق هذا الأمر ويؤرخه! وهو ما حدث بالفعل، عندما نَشر الكاتب «ARTHUR POUGIN» كتابه «مسرح معرض إكسبو العالمي ١٨٨٩» LE THÉATRE A L'EXPOSITION UNIVERSELLE DE 1889»، والكتاب صدر عام ١٨٩٠[٩]، وهو يشتمل على تفاصيل العروض المسرحية والفنية كافة، التي عرضتها الفرق العالمية على هذا المسرح طوال فترة المعرض، وما يهمنا منها عروض فرقة سليمان القرداحي، التي تحدث عنها المؤلف في الصفحات (من ٩٩ إلى ١٠٣).

(٩) ARTHUR POUGIN :LE THÉATRE A L'EXPOSITION UNIVERSELLE DE 1889: NOTES ET DESCRIPTIONS HISTOIRE ET SOUVENIRS, PARIS, LIBRAIRIE FISCHBACHER, 1890, PP (103 – 99)

يؤكد مؤلف الكتاب أن (سيمور واد Seymour Wade)، أقام المسرح داخل المعرض العالمي من أجل الربح المادي والتجارة بالفن، ويصف لنا هذا المسرح بأنه يسع ٢٥٠٠ متفرج، والإضاءة به سيئة، وخشبته كبيرة، وبها زخارف إلخ. وعندما تحدث عن الفرقة المصرية، قال. إنها فرقة الأوبرا الخديوية، وتتكون من ثلاثين فردًا برئاسة سليمان القرداحي، الذي أخذ الإذن من الخديوي بالسفر بها إلى فرنسا وقد أبحرت الفرقة من الإسكندرية يوم ١٧ أغسطس ١٨٨٩، ووصلت إلى فرنسا يوم ٢٤، وعرضت عروضها في باريس ابتداء من ٣١ أغسطس. ووصف المؤلف عروضها بأنها مثيرة جدًّا؛ لأن الإقبال الجماهيري عليها كان كبيرًا، وكان الجمهور يشرب ويدخن في كل مكان! وكان سعر تذكرة الجلوس خمسة فرنكات، وسعر الجلوس على الأرض فرنكين، وعلى الأطراف فرنكًا واحدًا! وكانت الفرقة تُقدم أربعة عروض في اليوم الواحد، على فترتين- نهارًا ومساءً- لمدة ثماني أو تسع ساعات.

ثم ينتقل المؤلف إلى وصف وأسماء أعضاء الفرقة، التي تتكون من. مطربين، وراقصين، وموسيقيين، ومصارعين، ومبارزين، ولاعبي العصا (النبوت naboute). ثم يبدأ في ذكر أسماء البعض، مثل المغنيات الشهيرات: زينب أفندي، ولبيبة أفندي، وهانم أفندي. والراقصات الساحرات: شوق أفندي، وأمينة أفندي، ولطيفة أفندي، وفريدة أفندي. وأشهر الموسيقيين. الشيخ علي عثمان، والشيخ محمد، وسليم محمود. وأشهر المصارعين في الشرق. حسان مصطفى، وعبد القادر، وعلي أبو عثمان. وأقوى المبارزين. يوسف سبع الذي نال مكافأة من (رودولف Rodolphe) ولي عهد النمسا، ومن (نيقولا Nicolas) إمبراطور روسيا، وإمبراطور البرازيل، وحبيب أفندي فضل الله السوري الشهير.

ويذكر المؤلف في كتابه، وصفًا دقيقًا لأكثر من عشرة عروض شعبية، منها: ظهور شخصية البطل العربي المنتقم عنترة بن شداد، وأغنية عاطفية للمطربة زينب مع رقصة السيف من قبل الراقصة اطيفة، ومبارزة بين يوسف سبع وحبيب فضل الله، ومصارعة بين حسان مصطفى وعلي أبو عثمان، ولعب العصا- التحطيب بالنبوت- بين حسن الزنجي وإلياس أبو ضو، والرقص الشرقي من قبل الراقصات شوق وأمينة وفريدة وهانم، والراقصة الزنجية (Hadame). والأغاني من قبل علي عثمان، والمغنية زينب بمصاحبة اثنتين من السود. أما آخر لوحة فنية وصفها المؤلف، فكانت تجمع كل ما سبق في مشهد واحد على خشبة المسرح، يُمثل «زفّة العروسة».

لم ينس مؤلف الكتاب الحديث عن المناظر- أي الديكور- والتي كانت عبارة عن ستائر ضخمة، يتم الرسم عليها، ومنها: منظر غابات لبنان في سوريا، ومنظر شارع الموسكي في القاهرة، ومنظر قصور الشرق ليلًا، وهذه المناظر كلها رسمها رسام الأوبرا الخديوية الفنان الإيطالي الشهير (مانشيني Mancini). أما الأمر الذي أطال المؤلف في وصفه وشرحه؛ بوصفه لونًا فنيًّا لم تشهده فرنسا من قبل، فهو الرقص الشرقي، وتحديدًا (رقصة البطن) وهذه الرقصة تؤديها الراقصة بمهارة كبيرة؛ حيث تتمكن من تثبيت جسدها إلا منطقة البطن فقط، التي تُحركها من الداخل إلى الخارج، ثم من الخارج إلى الداخل، ومن أعلى إلى أسفل، ومن أسفل إلى أعلى، ثم تُحرك البطن بصورة دائرية متواصلة! وهذه الرقصة المثيرة، كان لها جمهور كبير.

ومن الفقرات التي لفتت نظر المؤلف، وتوقف عندها أيضًا رقص الراقصات مع الحيّات- الثعابين- وإيقاع أصوات الصاجات في أيديهن، وهذه الفقرة أصابت الجمهور بالرعب. كذلك

شرح المؤلف أثر أصوات صليل السيوف، وتصادم الرماح مع الدروع إلخ الأصوات الناجمة عن المبارزات. كما نقل إلينا المشهد الختامي، عندما تجمعت جميع الفقرات السابقة على خشبة المسرح في احتفال زفة العروسة. أما عزف النشيد الخديوي في نهاية العرض الجماعي، فكان دون فائدة. كما أشار المؤلف أن فقرات الرقص والأغاني من قبل فرقة القرداحي، استمرت- بعد انتهاء المعرض- في مطاعم ومقاهي باريس لشهور عدة.

وبناءً على ما جاء في كتاب (LE THÉATRE A L'EXPOSITION UNIVERSELLE DE 1889)، نستطيع القول. إن سليمان القرداحي لم يُقدم- من خلال فرقته المسرحية- عروضًا مسرحية متكاملة، بل قدّم مشاهد وفقرات فنية عربية شرقية شعبية على خشبة المسرح في باريس، منها: المبارزة بالسيف، والرقص الشرقي بالسيف، والرقص الشرقي بالثعبان، والرقص بالصاجات، ورقصة البطن، والمبارزة بالسيف والرمح، والمصارعة، والتحطيب الصعيدي بالعصا (النبوت)، والعناء العاطفي، والعناء الشعبي إلخ هذه المظاهر الفنية، عندما يتمّ عرضها على خشبة المسرح.

شارع القاهرة داخل معرض باريس

قـراءة في صـور نـادرة

بالإضافة إلى المراجع السابقة، اطلعتُ على الصور الفوتوعرافية- التي أرسلها لي الأستاذ إسكندر قرداحي- بالإضافة إلى صور أخرى[١]، فخرجت من هذه الصور بمعلومات مهمة، أضافت أمورًا كثيرة كانت مجهولة ولم تذكرها المراجع! ومن ذلك صور «شارع القاهرة» الذي بُني داخل معرض باريس، وكان مماثلًا لأي شارع في القاهرة من حيث البناء والطرز المعروفة في البيوت المصرية، بما فيها من «مشربيات» خشبية مصنوعة بالأرابيسك، مع زخارف إسلامية على واجهات البيوت ومداخلها ولولا بعض اللافتات المكتوبة بالفرنسية ووجود بعض الأجانب وبالأخص الفرنسيين في الصور، ما صدق أحد أن هذه الصور ملتقطة في باريس. وأهم ما كان يُميز هذا الشارع وجود مسجد إسلامي ضخم بمأذنته العالية، وللأسف هذا المسجد لم يُبن من أجل الصلاة، بل كان شكلًا خارجيًا فقط لإضفاء الجو المصري والشرقي والإسلامي على الشارع؛ حيث كان يُقدم بداخله- للأجانب والزائرين- الفقرات الفنية الشعبية الراقصة، وهذا الأمر- تحديدًا- كان السبب المباشر لغضب الخديوي على القرداحي، كما سنعرف لاحقًا

(١) منقولة من موقع: https://gallica.bnf.fr.

ركوب الأجانب للحمير المصرية في شارع القاهرة بباريس

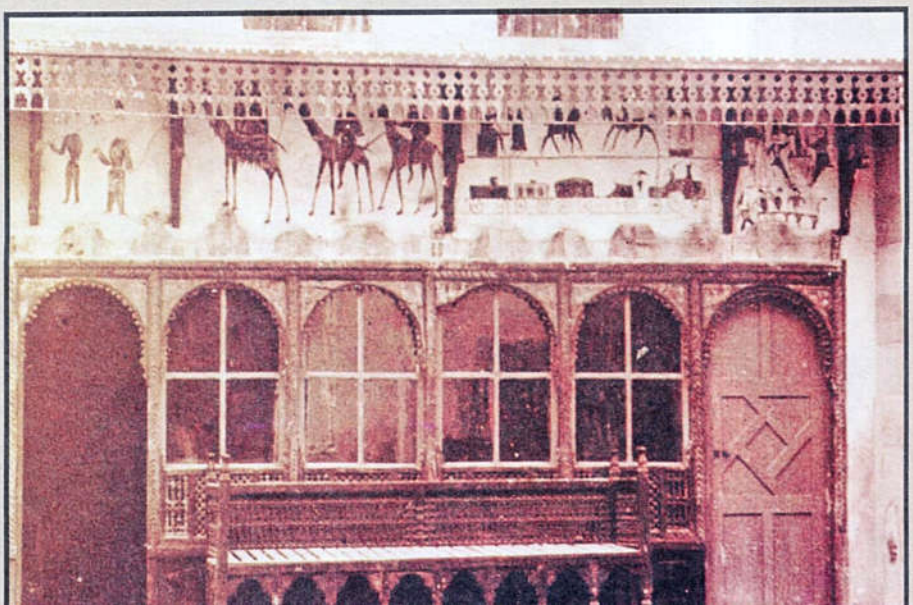

واجهة دكان الألعاب الشعبية في شارع القاهرة بباريس

ضمن الصور، توجد صورة لمدخل- يُشبه الدكان أو المقهى- مصنوع من الخشب وعليه رسومات لألعاب شعبية كانت تُقدم بداخله، أو قصص يرويها الراوي؛ حيث إن الصور المرسومة تُمثل بعض الفوارس على خيولهم شاهرين سيوفهم، ورسومات أخرى لشخصيات من خيال الظل. كما توجد صورة تجمع بين «سيمور واد»- المتعهد الإنجليزي- ومجموعة من العمال المصريين الذين يعملون في مهنة ركوب الخيل والحمير، ويُطلق عليهم «الحمارين»، أي أصحاب الحمير التي تُستخدم في ركوب الأشخاص للانتقال من مكان إلى آخر؛ وكأنها وسيلة مواصلات. ولكن القرداحي جاء بهم- وبخيولهم وحميرهم- إلى فرنسا من أجل الترفيه على الأجانب وأطفالهم من زوار المعرض العالمي، والمارين بشارع القاهرة في باريس، ليركب الزائر الحصان أو الحمار، ويُشاهد الفنون الشعبية والصناعات اليدوية في شارع القاهرة نظير أجر معلوم.

أما صور الفرقة، فكانت كثيرة ومتنوعة؛ حيث وجدتُ صورة جمعت الفنون كافة على خشبة المسرح، مثل الفنون الموسيقية الشعبية كالعزف بالمرمار البلدي، والإيقاع بالرق والطبلة. كما توجد صورة أخرى مماثلة لها، وبها فنون إضافية، مثل. عازف العود، وعازف القانون، وعازف الناي، وعزف الراقصة على الرق، ورقص لراقصة أخرى وضعت إحدى الرجاجات الضخمة على رأسها، وهو الأمر الذي انتشر فيما بعد وسُمِّي الرقص بالشمعدان! وصورة أخرى جمعت أربعة فنون في لقطة واحدة، وهي. فن التحطيب، والمصارعة، والمبارزة بالسيف والترس، ورقص الراقصة بالسيف! وهذه الصورة تحديدًا، لها أهمية كبرى؛ حيث إنها الصورة التي وثّقت اسم «مسرح القرداحي» في خلفية ديكور المسرح بالحروف اللاتينية هكذا «THEATRE CARDAHI».

كما توجد صورة توثق الابتكار في آلات العزف، بها أربع راقصات يجلسن على الأرض ومن خلفهن توجد عازفتان تعزفان بالضرب بالأيدي على إناء نحاسي يُستخدم في البيوت للاستحمام وتخرين الماء، يُطلق عليه اسم «الطشت»!! وتوجد صورة أخرى للأشخاص أنفسهم ولكن بعد وقوف الجالسات ورقصهن بالصاجات. كما توجد صورة منفردة لكل راقصة على حدة، تُظهر ملابسها ذات الرخارف المصرية، مثل صورة الراقصة «هانم محمد» هذا بالإضافة إلى صور

فريق الراقصات يضربن علي الطشت ويحملن الزجاجات مثل الشمعدانات في باريس

منفردة لبعض العازفين أمثال صورة «عثمان حسين» عازف القانون، و«عمر هلال» عازف العود، وصورة للقرداتي وقرده.

وبالإضافة إلى ما سبق من صور فوتوغرافية، توجد بعض الصور المرسومة لبعض الفقرات المنفردة للرقص الشرقي؛ بوصفه فنًّا جديدًا ظهر في باريس من خلال فرقة القرداحي. ومثال على ذلك صورة بها راقصة مصرية ترقص بالصاجات في أحد المقاهي بشارع القاهرة ممسكة بالصاجات، وخلفها فرقة موسيقية، متكونة من عازف للقانون وآخر للعود وثالث للطبلة. وتوجد صورة أخرى- فريدة في نوعها- بها راقصة ترقص الرقص الشرقي، وأمامها على الأرض حيّة في وضع يُمثل الحركة الإيقاعية وكأنها ترقص. مع وجود القرداتي وقرده في انتظار تأدية دوره، وفرقة من العازفين خلف الراقصة والقرداتي بها عازف لآلة وترية تُشبه «السمسمية»، وعازف للمرمار البلدي، وعازف على الرق، وعازف للقربة، وعازف للطبلة، وآخر صورة في هذا المجال، تظهر فيها الراقصة أمام جمهور غفير من الأجانب.

كما وجدتُ مجموعة صور مرسومة- أيضًا- عن بعض الفنون الشعبية المتنوعة، والصناعات اليدوية المشهورة في مصر وقتذاك، مثل فنون صناعة المشربيات وخرطها وتشكيلها عن طريق صناعة الأرابيسك، من خلال وجود نجار لهذه المهنة، يقوم باستعراض أدواته اليدوية بخرط وتشكل كل وحدة من وحدات الأرابيسك أمام جمهور من زوار المعرض الأجانب. كذلك توجد صورة لصانع الفخار من خلال طينة الفخار وكيفية تشكيلها لتصبح إناءً أو «قُلة» أو «زلعة» وسط دهشة الأجانب بهذه المهنة. كذلك وجدتُ صورة لبائع «العرقسوس»- ممسكًا بصاجاته النحاسية الضخمة، وملابسه الشعبية- بوصفه شرابًا شعبيًّا يُباع في الشوارع والطرقات، ويشربه أغلب الشعب المصري.

مكافأة القرداحي

أثناء نجاح وتألق فرقة القرداحي في باريس، نشرت جريدة الفيجارو (LE FIGARO) بتاريخ ١٨٨٩/٩/١٤- خطابًا موقعًا من السيد (SANTERRE DES BOVES) مدير الجريدة الرسمية في مصر- مؤرخًا في ١٨٨٩/٩/٧ وفيه تصحيح لبعض الأمور المنشورة في صحف وإعلانات باريس المتعلقة بفرقة القرداحي، ومنها: أن القرداحي وافق على وضع رسم لفتاة مصرية ترقص بملابس كاشفة، وهذا يُعدّ إساءة للشعب المصري، لا سيما أن الإعلان ينص على أن هذا الأمر تم بموافقة الخديوي، وهذا أمر لم يحدث! كما أن القرداحي لم يكن أبدًا مديرًا لمسرح الأوبرا الخديوية، على الرغم من أخذه بعض مناظر وملابس وإكسسوارات تتعلق بالأوبرا الخديوية. وفي ختام الرسالة، يقول مدير الفيجارو: إنه نشر رسالة الرميل، بناءً على طلبه، ويترك حق الرد لسليمان القرداحي.

وبالفعل، أرسل القرداحي رده، الذي نشرته جريدة (LE FIGARO) بتاريخ ١٨٨٩/٩/٢٠، وهذا نصه: «حضرة مدير جريدة الفيجارو: نظرًا إلى حق الرد أتوجه إليكم برسالتي هذه آملاً في نشرها بجريدتكم بعرض تصحيح المعلومات التي نُشرت سابقًا: فقد شرفنا الأستاذ (SANTERRE DES BOVES) باهتمامه بالفرقة المصرية للمسرح الدولي الخاص بالمعرض، وتلافيًا للتصادم لن أدخل في الترهات التي ذكرها (SANTERRE DES BOVES) ، بل سأرد فقط بالحقائق. أتشرف بأن أضع بين يديكم الآتي. العقد باستعمال مسرح الأوبرا الخديوية، الذي منحني إياه معالي عبد الرحمن باشا رشدي وزير الأشغال العامة بتاريخ ١٨٨٦/٥/٢٦ وكذلك تجديد العقد الذي وقعه معالي محمد زكي باشا وزير الأشغال العامة بتاريخ ١٨٨٩/٢/٢٦ والمذكرة المرفوعة إلى مجلس الوزراء وموقعة من معالي عبد الرحمن باشا رشدي بتاريخ ١٨٨٧/٤/٢١، وجاء فيها ما يلي حرفيًّا: سليمان أفندي قرداحي يتابع القيام بأهم ما يتحقق للدولة، وبإذن من الحكومة المصرية أنتج مسرحيات في مسرح الأوبرا الخديوية، وبذل أكبر الجهود وباعتراف من الناس ذوي العقول المستنيرة وبدون استثناء لأهمية النتائج الحاصلة. وتضيف المذكرة على أن تأييد مولانا الخديوي للفن الدرامي العربي المسرحي هو حضوره بنفسه إذ شرف المسرح، وقد

Nous recevons de M. Santerre des Bovès Boy, directeur des *Journaux officiels* égyptiens la lettre suivante :

Ministère de l'intérieur — DIRECTION des *Journaux officiels*

Le Caire, 7 septembre 1889.

Monsieur et cher confrère,

Permettez-moi de faire appel à votre courtoise impartialité pour faire rectifier l'information suivante, parue dans le Courrier de l'Exposition du numéro du *Figaro* en date du 24 août dernier :

S. A. le khédive d'Egypte a, pour la première fois, gracieusement accordé la permission, à une troupe de trente danseuses et chanteuses de l'Opéra royal du Caire, de s'absenter de l'Egypte. Celles-ci ont été soigneusement choisies par M. S. Cardahi, directeur de l'Opéra, qui accompagnera la troupe en France.

Cette troupe a quitté Alexandrie samedi dernier, et M. Seymour Wade, directeur du Théâtre international de l'Exposition, attend d'heure en heure une dépêche annonçant leur arrivée à Marseille ; les artistes apportent avec eux leurs costumes et les décors du grand Opéra royal.

Que M. Cardahi fasse de la réclame, car c'est évidemment à un des prospectus qu'il a lancés que le *Figaro* a emprunté l'information ci-dessus — autour d'une troupe féminine dont l'art couvre de son manteau chorégraphique un dilettantisme plus intime, c'est affaire à lui et aux gens qui se laissent prendre à ses promesses, mais là où son droit cesse absolument, c'est alors qu'il place sous l'égide de S. A. le Khédive un personnel artistique pour lequel l'art n'est qu'un prétexte.

M. Cardahi n'est pas et n'a jamais été directeur du théâtre khédivial du Caire — ou royal, peu importe.

M. Cardahi n'a jamais demandé à S. A. le Khédive, qui, par suite, n'a pas eu à l'accorder ou à la refuser, l'autorisation de conduire à Paris la troupe qui donne actuellement des représentations au théâtre international de l'Exposition.

Enfin, M. Cardahi n'a emporté en France ni costumes, ni décors, ni même accessoires du théâtre khédivial du Caire.

En même temps que cette lettre, monsieur et cher confrère, j'ai l'honneur, du reste, de vous adresser un numéro du journal officiel du gouvernement égyptien, opposant un démenti formel aux assertions auxquelles je viens de faire allusion. Il vous fournira les éléments de la rectification que je sollicite officiellement de votre impartialité.

Veuillez agréer, monsieur et cher confrère, l'assurance de ma considération la plus distinguée.

Le directeur du journal Officiel
SANTERRE DES BOVES.

Selon la demande de notre confrère nous insérons sa lettre telle quelle, laissant à M. Cardahi, s'il croit l'avoir, le droit d'y répondre.

مقالة الهجوم

LE FIGARO

Vendredi 20 Septembre 1889.

Paris, le 14 septembre 1889.

Monsieur le directeur du *Figaro*,

Usant de mon droit de réponse, je viens vous prier d'insérer la rectification suivante à l'article paru dans le *Figaro*.

M. le directeur du *Journal officiel* du Caire, M. Santerre des Boves, fait à la troupe égyptienne du Théâtre-International de l'Exposition l'honneur de s'occuper d'elle. Sans relever les épigrammes de M. Santerre des Boves, n'ayant pas l'intention d'entrer en polémique avec lui, je me borne à rectifier les faits.

J'ai donc l'honneur de vous mettre sous les yeux :

1° L'acte de concession du théâtre khédivial de l'Opéra qui a été délivré par S. Exc. Abdelrhamann pacha Roudchdy, ministre des travaux publics, en date du 26 mai 1886.

2° Le contrat de renouvellement de cette concession en date du 26 février 1889 et signé de S. Exc. Mohamet-Zeki pacha, ministre des travaux publics ;

3° Une note au conseil des ministres, signée de S. Exc. Abdelrhamann pacha, le 21 avril 1887, et disant textuellement que « M. Soliman Cardahi poursuit une œuvre des plus intéressantes pour le pays, et que, autorisé par le gouvernement égyptien à donner des représentations de comédie au théâtre khédivial de l'Opéra, il a fait les plus grands efforts... et que toutes les personnes éclairées sont unanimes à constater l'importance des résultats obtenus ». La note, qui ajoute que S. A. le Khédive a témoigné, par sa présence, de l'intérêt qu'elle porte au progrès de l'art dramatique arabe, stipule la subvention par le gouvernement de Son Altesse d'une somme de 400 livres sterling.

Enfin, voici des lettres émanant d'autorités diverses, et me remerciant des représentations de bienfaisance organisées par moi à l'Opéra khédivial.

Il reste la question de costumes, décors et accessoires. Or, le prospectus du Théâtre International, que je prends la liberté de placer de même sous vos yeux, porte que « les décors sont peints par le célèbre Mancini, d'après l'Opéra khédivial au Caire » ; des costumes et accessoires, il n'est pas question.

Il serait superflu d'en dire davantage. Le public est éclairé sur la valeur des déclarations de M. le directeur du *Journal officiel* du Caire, dont l'intervention est au moins inattendue.

Veuillez agréer, etc.

S. CARDAHI.

رد القرداحي فى الفيجارو
١٨٨٩-٠٩-٢٠

تبرَّعت حكومته بمبلغ ٤٠٠ جنيه. وأخيرًا خطابات شكر مرفقة من رؤساء الجمعيات الخيرية، تشكرني على قيامي بالعروض المسرحية، التي قدمتها في الأوبرا الخديوية مساهمة في خدمة هذه الجمعيات. أما مسألة الملابس والمناظر والإكسسوارات؛ فإن إعلاناتنا في مسرح المعرض الدولي- بباريس- جاء فيها: إن الفنان المعروف مانشيني رسم مناظر شبيهة بمناظر الأوبرا الخديوية. أما بالنسبة للملابس والإكسسوارات فلم نذكر عنها شيئًا ليس بالضرورة الإطالة في الكلام؛ لأن الجمهور المستنير وحده يستطيع تقييم تصريحات مدير الجريدة الرسمية في القاهرة. ومن المستعرب تدخل هذا المدير، وتفضلوا بقبول فائق الاحترام. [توقيع] سليمان قرداحي باريس، ١٨٨٩/٩/١٧»[١١]

(١١) هذه الترجمة، أرسلتها لي الأستاذة (وفاء قرداحي) في رسالة صوتية من باريس يوم ١٦/٣/١ ٢ والأستاذة وفاء من الأسرة القرداحية، وتُقيم أيضًا في فرنسا، وتتساوى مع الأستاذ إسكندر قرداحي في درجة القرابة والانتساب إلى سليمان القرداحي.

من المؤكد أن أعداء النجاح موجودون- في كل مكان وزمان- فما ذكره مدير الجريدة الرسمية، وردّ القرداحي عليه، ونجاح العروض المسرحية الشعبية المصرية في فرنسا، والرقص الشرقي، وتحديدًا رقصة البطن المثيرة، مع ظهور بعض المطربات والراقصات المسلمات في فرنسا وأمام الناس في معرض دولي، والادعاء بأن هذا كله تمّ بموافقة خديوي مصر، والرج باسم الخديوي في الإعلانات والملصقات لهذه العروض. إلخ، كل هذا كان مناخًا مناسبًا لظهور أعداء النجاح، فأوقعوا بين القرداحي والخديوي توفيق- الذي دعم القرداحي وسانده بصورة لم تتحقق لغيره من المسرحيين- فأصدر الخديوي أمره بعدم عودة القرداحي إلى مصر مرة أخرى.

حاول القرداحي التنصل من الأمر؛ فادعى أن (سيمور واد Seymour Wade)، طبع الإعلانات والملصقات- وقال إن الفرقة آتية إلى فرنسا بتصريح من الخديوي- من تلقاء نفسه، دون أي تدخل من القرداحي. ووصل الأمر إلى القضاء؛ حيث رفع القرداحي قضية ضد (سيمور واد) يطالبه فيها

بتعويض مادي كبير، نظير ما لحقه من أضرار وخسائر بسبب تصرفه الفردي، ونشره إعلانات مستعلًا فيها اسم الخديوي من أجل زيادة الإقبال الجماهيري، طمعًا في زيادة الإيرادات.

وفي ديسمبر ١٨٩، نشرت الصحف الفرنسية[١٢] تفاصيل هذه القضية، التي ظلّت منظورة في المحاكم الفرنسية أكثر من عام؛ حيث صدر الحكم فيها برفض الدعوى ضد (سيمور واد)، وإلزام القرداحي بالمصاريف؛ لأن الوثائق المُقدمة من محامي سيمور واد، أثبتت أن الرسائل المتبادلة بين القرداحي وسيمور، تفيد بأن كل المعلومات، التي نُشرت في الإعلانات الصحفية والملصقات الدعائية، كان القرداحي مصدرها، وتمّ نشرها بموافقته.

وهكذا خسر سليمان القرداحي القضية، وظل شريدًا هو وفرقته في فرنسا، وفي بعض مدن أوروبا- مثل لندن- لا يستطيع العودة إلى مصر بسبب غضب الخديوي توفيق، وقرار منعه من دخول مصر مرة أخرى. هكذا نال القرداحي مكافأته على ما قام به من إنجاز تاريخي غير مسبوق؛ كونه صاحب أول فرقة مسرحية شعبية مصرية عرضت أعمالها في أوروبا، وتحديدًا في فرنسا وإنجلترا عام ١٨٨٩ هذا بالإضافة إلى أنه صاحب أول عروض شعبية وألعاب وصناعات يدوية تُعرض في المعرض الدولي بباريس، كما أنه صاحب أول إعلان ملون- مُلصق أو بوستر- لفرقة مسرحية عربية، يتم توزيعه وتعليقه في شوارع باريس. ناهيك عن كونه صاحب أول فرقة مسرحية شعبية يتم التقاط صور فوتوغرافية لها عام ١٨٨٩، تلك الصور التي نقلت لنا تفاصيل الديكور، والملابس، وحركة الممثلين، والإكسسوارات، والعناصر النسائية والألعاب الشعبية، والصناعات اليدوية، التي تفتح لنا المجال واسعًا لإعادة دراسة هذه الرحلة، وكتابة بحوث جديدة ومتنوعة حولها

(١٢) مثل جريدة (JOURNAL DES DEBATS) في ١٢/٢/ ١٨٩ وفي ١٢/٥/ ١٨٩ وجريدة (Le Temps) في ١٢/٣/ ١٨٩ وجريدة (le rappel) بتاريخ ١٢/٦/ ١٨٩

إعلان فرقة القرداحي في باريس

عرض آخر من العروض المسرحية الشعبية على مسرح معرض باريس